

عوامل تفعيل المبادرات الدولية أمام تحديات النزاعات المتسارعة من منظور إسلامي

Factors Activate the International Initiatives for the Challenges of the Accelerating Conflict from an Islamic Perspective

علي الرواحنه

Ali Al Rawahni

قسم الفقه وأصوله، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن

بريد الكتروني: alirwahna@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٠/٨/٢٩)، تاريخ القبول: (٢٠١٢/٢/٢٣)

ملخص

تقدم هذه الدراسة التصور الأمثل لعوامل تفعيل المبادرات الدولية أمام تحديات النزاعات المتسارعة، والتي تهدد الاستقرار الدولي، والذي بدوره ينعكس على واقع النزاع، ولكن الشريعة الإسلامية تتبنى المبادرة منهجية متنوعة الأغراض، فلذا تجدها أخذت بعدها الواقعي في دفع النزاع أو احتداه. أدرك التشريع الدولي الإسلامي جسامة الخطر الناشئ عن التسارع في الأحداث المتوترة، وبنفس الإدراك حثت الشريعة الإسلامية المسلمين بالمسارعة لوقف تسارع وتيرة النزاع والعودة بها إلى حالة الاستقرار، من خلال التفعيل الايجابي للمبادرات الدافعة لعجلة السلم الدولي، وردم هوة النزاع بين الطرفين.

Abstract

This study provides a scenario to optimize factors activate the international initiatives to the challenges of conflict accelerated, which threaten international stability, which in turn reflected the reality of the conflict, but Islamic law adopts the initiative systematically a variety of purposes, hear and be guided found taken after the realistic payment dispute or Ahtdamh. Recognized international legislation of the Islamic seriousness of the threat resulting from the acceleration in the events tense, with the same perception urged Islamic Muslims to lose to stop the acceleration of the pace of the conflict and a return to stability, through

the activation of positive initiatives of the driving wheel of international peace, and to bridge the gap dispute between the parties.

مقدمة

الحمد لله الذي قدر فهدي، وبعث الأنبياء مبشرين لمن اهتدى ومنذرين من عصي، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للبشرية، لتخرج من سطوة الظلم والاضطهاد إلى عدل الإسلام وسعته.

المبادرات حتى تكون مؤثرة في واقع النزاع الدولي، لا بد من البحث عن وسائل عملية تفعل الدور الايجابي في نزع وتيرة الخلاف، والعودة إلى معترك الحياة بمنهجية التفاوض في خلق ثقافة الاستعداد الدولي لقبول الآخر وتقاسم أفراح وآلام التحديات المتسارعة في احتدام النزاع.

إن ترك النزاع يتفاعل في الاتجاه السلبي، يخلق تعقيدا في علاقة أطراف النزاع، وتجتاح المجتمع الدولي موجة من العنف المركب تعصف به، فلذا يحتاج الموقف إلى جهود مضمّنية حتى تقف أمام هذا التحدي ووقف دائرة الخطر عن الاستمرار.

مشكلة الدراسة

يعيش المجتمع الدولي في حالة الصراعات حالة من الفوضى العارمة، تجتاح مقدرات الأمم ومنجزاتها، فلا بد من البحث عن وسائل قادرة على فض النزاع وخلق مناخ التحدي للعناصر المؤثرة على النزاع، أمام ذلك تثار التساؤلات الآتية:

- ما عوامل تفعيل المبادرات الدولية؟
- ما حجم التحديات التي تعترض المبادرة الدولية؟
- رصد المسارعة في النزاعات، والسير بحركة التفعيل بنفس المقدار أو أكثر.
- من الشريعة الإسلامية التحديات المعاصرة للتعامل مع معطيات الواقع الدولي؟

فرضيات الدراسة

تملك الشريعة الإسلامية من الوسائل العملية المعاصرة التي يتم من خلالها خلق أجواء تفاهم دولي بعيدا عن حالة التشنج.

اشتمال الشريعة الإسلامية على عوامل بناء الثقافة الأممية، وقبول الطرف الآخر بعيدا عن عوامل الفرقة، والاستفادة من قدرة الشريعة الإسلامية على تحويل الخصام إلى وئام ضمن المنهجية السليمة في التفكير والإبداع، وتوظيف التطور المهني وتنظيمه بما يخدم واقع النزاع.

العمل المؤسسي لإدارة المبادرات وجمع ما من شأنه رفع سوية الأداء الفردي لحركة التفاعل الاجتماعي، ضمن منهجية جادة وعلمية لإنهاء الصراع.

منهجية البحث

منهجية الدراسة اعتمدت الآتي:

المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء المبادرات الدولية في عهد النبوة وما هي عوامل نجاحها.

المنهج الموضوعي: جمع الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، والسيرة النبوية العطرة ومتون الكتب التاريخية الرصينة، واستشراف الأبعاد التشريعية للمبادرات في مسابقة النزاعات الدولية، وبيان المنهجية الشرعية في وقف النزاعات.

خطة البحث

تتناول الدراسة عوامل تفعيل المبادرات في وقف النزاعات الدولية المتسارعة من منظور إسلامي، وعلى النحو الآتي:

- تمهيد
- المبحث الأول: تحديات المبادرات في تسارع النزاعات.
- المطلب الأول: المبادرات وتسارع النزاعات .
- المطلب الثاني: تحديات المبادرات.
- المبحث الثاني: عوامل تفعيل المبادرات الدولية .
- المبحث الثالث: الآثار الحوارية لأطراف النزاع في سير المبادرات الدولية.

عوامل تفعيل المبادرات الدولية أمام تحديات النزاعات المتسارعة

من منظور إسلامي

تمهيد

يشهد الواقع المعاصر على مستوى الساحة الدولية، مناطق اشتعال متنوعة الأشكال، والمضمون والأهداف، تبعاً لباعث ذلك الإشكال أو تلك المعضلة، كما أصبحت طبيعة النزاع وإن كان له وجه واحد، إلا أنه له الكثير من الألوان، كل ذلك جعل معادلة العلاقات الدولية تتجاوز تركيبها البسيط، إلى نمط معقد المنطلق والتكوين، كما أن مساحة النزاع متسعة جداً بحيث أن الجغرافيا السياسية لم تتضح معالمها، وطبيعة النزاع الدولي قد غادر الحدود البيئية السياسية منها أو الطبيعية، فقد يكون النزاع في الشرق وعوامل تحريكه في الغرب.

أمام هذه المعضلة السياسية على الساحة الدولية وتنوع بؤر الاشتعال الدولي مبنوثة على مساحتها المترامية الأطراف، تبقى نداءات الإنقاذ الدولي تنطلق من هنا أو هناك، مع أن بعضها ربما هاديه المصلحة العامة، والبعض يدفعه مصالح قطرية أو قومية، في محاولة إضفاء مسحة السلم الدولي على واقع النزاع، بعيدا عن شبح الحرب، من خلال ذلك نحاول أن نتلمس ملامح العوامل التي تسهم في تفعيل اثر المبادرات على واقع النزاعات الدولية من منظور إسلامي، بعيدا عن اتهام هذه المبادرة أو تلك، فالتاريخ الإسلامي حافل بمحاولات العمل على استقرار المجتمعات على أساس السلم، قال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (١)، وحالة السلم على الأغلب مسبوقه باتصالات يتم فيها تذليل عقبات الاتفاق (٢) ومعوقاته.

قبل الحديث عن عوامل تفعيل المبادرات على واقع النزاع نتعرف على مفهوم بعض المصطلحات التي تخدم الدراسة، وكما يأتي:

المبادرة لغة: من عجل إلى فعل ما يرغب فيه، مسابقة إلى الغاية (٣)، والمبادرة في مدلولها اللغوي نجدها تشير إلى عامل التعجيل في الأمر مسابقة للغير، وبهذا المعنى قد لا تختلف عن مدلولها الاصطلاحي، فمصطلح المبادرة من حيث المدلول يعطي أكثر دلالة من غيره من المصطلحات، وإذا ما أمعنا النظر في التصوير الفني للمبادرة نجدها تعطي أكثر من حركة يرسمها المبادر على واقع النزاع، فهي ككلمة تشير إلى الجوانب الآتية:

١. التحذير للمنظومة الدولية بصورة عامة من عواقب التأخير عن المبادرة لفض النزاعات الدولية (٤)، أو التسوية في إمكانية وقف النزاع أو ما إلى ذلك.
٢. سرعة الأداء تنعكس مباشرة على واقع النزاع، ويعمل على تعزيز دقة العمل، وانجازه على أكمل وجه، في مراحل الأداء الدولي على واقع النزاع.
٣. عد الإسلام المبادرات الدولية من الأعمال الحسنة التي رغب فيها الإسلام، قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} (٥)، قال ابن عاشور: أي فعلوا الحسنات في الدنيا، فيكون المقصود التنبيه على المبادرة بالحسنات في الحياة الدنيا قبل الفوات، والتنبيه

(١) سورة الأنفال (٦١).

(٢) أباد هلال، المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية، ص ٧٥، ط ١، ١٩٩١م، دار النهضة الإسلامية.

(٣) محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس، مكتبة الحياة- بيروت، ج ٣ ص ٣٣.

(٤) أي نزاع يعتبر دوليا اذا نشب بين دولتين أو أكثر، وقد يصبح النزاع المسلح الداخلي دوليا إذا تدخلت دولة أخرى بقوتها، انظر: المستشار شريف عليم، القانون الدولي الإنساني دليل للأوساط الأكاديمية، ص ٣١٤، الناشر: اللجنة الدولية للصليب الأحمر - ٢٠٠٦م.

(٥) سورة الزمر (١٠).

على عدم التقصير في ذلك^(١)، وينجح القانون الدولي الإنساني في تحقيق أهدافه وغاياته بقدر ما ينجح في التوفيق بين المتناقضات^(٢).

والمبادرة تسعى بصورة عامة إلى تكريس لغة الحوار في العلاقات الدولية بغض النظر عن طبيعة النزاع ومهما بلغت درجة تلك الاختلافات، وجعل لغة الحوار نهجاً دولياً على واقع العلاقات الدولية وسيلة للوصول إلى درجة من التوافق الدولي بعيداً عن مفعلات النزاع.

المبادرات الدولية

هي الطرح المقدم حالة النزاع الدولي بسرعة، لفتح باب الحوار بين أطراف النزاع لتقريب وجهات النظر وإنهاء موضوع النزاع.

محترزات التعريف

الطرح المقدم: قيد يخرج القرارات.

حالة النزاع الدولي: تخرج بهذا القيد المقترحات التي تقدم على الأصعدة المتنوعة، لأن منها على مستوى الوضع المحلي للدول.

بسرعة: قيد يفيد أن مقترح المبادرة يتصف بالمتعجل لكونه يسارع الأحداث بسعيه لفض النزاع، واخرج بعض المقترحات التي قد لا تأتي مسارعة للنزاع.

لفتح باب الحوار: هدف المبادرة تحويل لغة التفاعل من حالة النزاع إلى لغة الحوار.

وتقريب وجهات النظر: يتناول مقترح المبادرة محور النزاع كمحاولة في تقريب وجهتي النظر لموضوع النزاع.

لإنهاء موضوع النزاع: يتطلع المبادر منذ طرح المبادرة إلى وقف النزاع، وذلك اخرج أي مقترح خارج محاور النزاع.

التحديات: من التحدي، وهو التعرض والمعارضة، فيقال: فلان يتحدى فلانا أي يباريه وينازعه الغلبة^(٣)، وهي تمثل الصعوبات من العقبات أو الأخطار، التي تواجه المبادر في سهولة الوصول إلى أطراف النزاع، التي تستدعي محاولات التغلب على تلك الصعوبات.

النزاعات المتسارعة: تتأثر النزاعات بالعوامل الخارجية التي تسهم في التطور المتسارع للنزاعات على جميع المستويات.

(١) محمد الطاهر بن عاشور، ت ١٣٩٣هـ، التحرير والتنوير، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي-بيروت، ج ٢٤ ص ٤١.

(٢) د. عامر الزمالي، مقالات في القانون الدولي الإنساني، ص ٢٥، طبعة برنت رايت للدعاية والإعلام-مصر.

(٣) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٥ ص ١٢١، ط ١، دار إحياء التراث العربي-بيروت-٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.

من منظور إسلامي: تقديم وجهة النظر الإسلامية حول التعامل مع النزاعات الدولية، بطرحها المثالي والتميز، بعيدا عن بؤر الاحتقان الدولي، باعتباره نموذجا يمكن في ضوءه دراسة عوامل تفعيل المبادرات في مواجهة تحديات تسارع النزاع الدولي، من خلال:

١. دراسة النصوص التي تناولت هذا الجانب، وما هي الإشرافات التي يمكن الاستفادة منها في معالجة، ووقف النزاعات المعاصرة؟
٢. تناول المعطيات التاريخية لواقع المبادرات التي مارستها الدولة الإسلامية في علاقتها الدولية، وإعطاء الحوار الأولوية كلغة تخاطب في التفاعلات الدولية.

المبحث الأول: تحديات المبادرات في تسارع النزاعات

المبادرات الدولية تواجه الكثير من التحديات التي تعيق عملها ومفعولها على نزاعات الدول، وتهدف هذه التحديات في كثير من الحالات من أسباب إجهاض المبادرات، رغم قوتها وإمكانية أثرها على ساحة النزاع، وإشكالية التحديات أنها قد تظهر بدون مقدمات، وعلى الأغلب أن حالة ظهورها تترافق وعوامل المسارعة في تجذير النزاع، واتساع مساحته وتعقيد مواقف النزاع أكثر مما كانت عليه، ولكن تكمن قدرة المبادرة على إنهاء النزاع، بمقدار المسارعة مع هذه التحديات والسبق إلى السيطرة على مفعلات النزاع، وتعزيز عوامل النقل النوعي من حالة النزاع إلى حالة الاستقرار.

المطلب الأول: المبادرات وتسارع النزاعات

تعتمد النزاعات الدولية بصورة عامة على عنصر المفاجئة والسرعة، لان لحظة التغلب على الآخر مرهونة بالإسراع إلى امتلاك زمام السيطرة على واقع الصراع، كما أن ميزة العصر الحديث بصورة عامة، تسير على قاعدة البقاء للأسرع، على خلاف عادة القرون السابقة التي كانت تسير على قاعدة البقاء للأقوى.

المبادرات تسير جنبا إلى جنب من حيث تعلقها بعوامل السرعة، فتسارع الأحداث بصورة عامة يخلق جوا من عدم التوازن الدولي، والذي ينعكس بصورة طبيعية على واقع المبادرات، من حيث جودتها، والمساحة التي تغطيها، والقدرة الإقناعية لأطراف النزاع، فلذا ميزة نزاعات العصر الحديث المسارعة، كما أن المبادرات من أساس عملها الاعتماد على السرعة، وما سميت المبادرة بالمبادرة إلا لتمييزها بمسابقة الحدث.

تفرض حالة النزاعات المتسارعة التي يعيشها أطراف النزاع، على المبادر أعباء ومسؤوليات إضافية على المسؤولية الأولية لحالة النزاع، وهي أن يفكر بطريقة أسرع لابتكار مقترحات، ومحاور للمبادرة مقنعة شيئا ما لأطراف النزاع، لأنه بمرور الوقت تنهوى أمام ناظره مقترحاته، والتي قد تفقد عمقها التأثيري في نقل الحالة السياسية، من الاستعداد القتالي إلى الاستعداد الحوارية، لأن المتغيرات المتسارعة على واقع النزاع تفرض معطيات جديدة يجب على المبادر مراعاتها في التنظير الموضوعي لمحل النزاع، لأنه قد يأخذ النزاع في أحد

مراحلها شكلا مغايرا لشكله الأولي، تبعا للتطور المتنامي للحدث موضوعا أو دلالة، والذي قد يذكي الصراع تصعيدا على جميع المستويات.

هذه المتغيرات الدولية المتسارعة على واقع الأحداث، تقتضي من المبادر بذل المزيد من الجهود للتعامل مع هذه المتغيرات قبل أن تتراكم وتجهض المبادرة في مهدها أو تتسع المساحة فتصبح أكبر من قدرة المبادرة على تلبية الطموح، "بارادة الحق، ونفي الشبهة"^(١)، قبل أن تتحول الشبهة إلى موقف وحقيقة يصعب تفاديها.

المطلب الثاني: تحديات المبادرات

المبادرة تمثل الحلقة الأضعف في حالات النزاع، لأنها تهدف إلى وقف النزاع بوسائل غريبة عن واقع النزاعات، الذي يعتمد الوسائل الخشنة كلغة تفاعل حال النزاعات، وبالمقابل يأتي المبادر بالمقترحات التي تحوى من العبارات الهادفة إلى وقف النزاع، وهيئات أن تؤثر هذه الكلمات مع تلك الانفعالات، إضافة إلى أنها محفوفة بالكثير من المؤثرات الخارجية والداخلية، فلذلك نجد أن المبادرات الدولية تحمل العبء الكبير لمواجهة تلك التحديات، ونشير إلى أهمها:-

أولاً: خضوع المبادرات الدولية للمؤثرات السياسية

المبادرات على الأغلب تتأثر بالاعتبارات السياسية للدول، لان المبادر عند الصياغة للمبادرة، يضع في الحسبان الكثير من الاعتبارات السياسية لأطراف النزاع، حتى على الأقل يضمن نوعا من الرضا، والاستعداد لمناقشة ما طرح كمبادرة لفض النزاع، وبذلك تجد المبادرة خليطا من نوازع الرغبات، وعلى ذلك فقبول المبادرة أو رفضها مرهون بمدى ما تلبى من المكاسب والرغبات لأطراف النزاع، ومن أهم المؤثرات في هذا الخضوع:

١. طموحات أطراف النزاع، فمن الطبيعي أن يكون لدى أطراف النزاعات طموحات، يسعى كل طرف منهما إلى تحقيقها على أرض الواقع وكسبها من هذا النزاع، وباب هذه الطموحات واسع والمجال لا يتسع لذكرها.
٢. الأبعاد الإستراتيجية ذات العلاقة بأطراف النزاع، على الغالب أطراف النزاع لا يوجدون وحدهم على الساحة الدولية، وإنما يشترك معهم من هم على مساس مباشرة أو غير مباشرة بموضوع النزاع.
٣. العوامل المشتركة بين احد أطراف النزاع وطرف ثالث وإن لم يكن له حدود مباشرة، لكن ربما لمصلحة ما يكون تحديا مؤثرا على المبادرة، مثل الصراع في فلسطين حيث أن جميع المبادرات التي طرحت باءت بالفشل للموقف الأمريكي الضاغظ والذي يسعى دوما لحماية

(١) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج٤ ص ٣٦٨.

موقع اليهود في المنطقة، والمحافظة على تفوقها العسكري، إضافة إلى أن الموقف بهذه الحالة يحقق لها البعد الاستراتيجي للمحافظة على مصالحها في الموارد النفطية.

ثانياً: عدم تمتع الطرف المبادر بالقدرة الداعمة للمبادرة

يعد تحدياً وعقبة أمام خلق مناخ فعال ومناسب للمبادرة، لأن المبادرة التي تطرح من طرف دولي ذي ثقل مادي أو يتمتع بقوة اقتصادية متميزة على الساحة الدولية أو ذات نفوذ سياسي ما، أو لها بعداً استراتيجي، لأن المبادرات إذا لم تجد ما يعطيها الجدية في التناول، تذوب مع مرور الأيام وسرعان ما تتلاشى.

ثالثاً: التباطؤ حتى تفاقم مرحلة النزاع وتأزمها يمثل تحدياً أمام فعالية المبادرة

فكلما كانت المبادرة سبابة للنزاع كلما كانت التحديات أقل، لأن المبادرة بهذا الاسم كونها تعني تسابق دولة ما أو دول لحالة النزاع، وتقديم حلا توافقيا لحالة النزاع، وفق الأسس والإجراءات المتبعة دولياً لذلك، لإنهاء تلك معضلة، أو ذاك النزاع، من خلال قابلية أطراف النزاع للتنازل عن حدة المواقف المسبقة.

التباطؤ في تقديم الحلول لأطراف النزاع يساهم في تأزم حالة النزاع، وتتفاقم تعقيدات الموقف السياسي، ومن الأمثلة كما حدث في دار فور، وذلك بعد عام من حالة النزاع تقدمت "جامعة الدول العربية بمبادرة حول "دار فور"، الإقليم السوداني الغامض الملتهب الذي تعادل مساحته أضعاف عدة دول عربية، وترك من قبل الجميع بدون مبادرة أكثر من عقد من الزمن، لتقدم مبادرة صيغت واتفق عليها من دون مقدمات، على الأقل إعلامياً، بعد اجتماع دام ساعات، وحددت الدول الراعية التي ستكون فاعلة وناشطة مباشرة، وقد رُفضت المبادرة من قبل فصليين رئيسيين في الساعات الأولى لإعلانها رسمياً، إلا أن مسؤولية طرح المبادرة بالشكل الذي تم، وأعطى المجال للطرف الآخر أن يرفضها بالطريقة الاستفزازية والاستعراضية التي حدثت، تبقى مسؤولية الجامعة وإدارتها"^(١)

رابعاً: الثقافة الدولية السلبية للتفاعلات بين الدول

فان حلولها تقوم على أساس القوة المادية العسكرية، وان لغة الحوار لا تجدي في واقع العلاقات الدولية، مما يعد تحدياً في تثبيط همم دعاة المبادرات، أو يقوم المبادر بهذا الدور مع شعوره بالشك في فعالية هذه المنهج.

نقد الإسلام الثقافة الاجتماعية ذات السلوك المخالف لما يحقق مصلحة للمجتمع، قال تعالى: **{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}**^(٢).

(١) مقال نشر في جريدة الغد تاريخ نشر: ١٠/١٠/٢٠٠٨م أحمد المبيضين.

(٢) سورة النساء(١١٤).

قال ابن عاشور: وعلى هذا فالمقصود من الآية تربية اجتماعية دعت إليها المناسبة، فإنَّ شأن المحادثات والمحاورات أن تكون جهرية، لأنَّ الصراحة من أفضل الأخلاق لدلائها على ثقة المتكلِّم برأيه، وعلى شجاعته في إظهار ما يريد إظهاره من تفكيره، فلا يصير إلى المناجاة إلاَّ في أحوال شاذة يناسبها إخفاء الحديث^(١).

الأصل أن تكون الثقافة السياسية للمجتمعات الدولية مبناها على لغة الحوار وليس على الصدام، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (١)، وهذا استدعاء وتشجيع لعقلية الانفتاح على الآخر، وفتح قنوات التواصل الحضاري، ومد جسور الحوار البناء مع الجميع من أجل مصالح الجميع^(٢).

لكن عدول الإنسان عن لغة الحوار إلى الصراع لمثالية لغة الحوار ولينها مما يعزز عوامل التمرد عليها، ربما لعدم صياغتها الصياغة الفعلية في إنهاء الخلافات الدولية، دفعت المجتمعات لتبني ثقافة الصدام، وقد نقد القرآن هذه المنهجية، فقال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٤)، فالواجب التعاون على الخير مع الغير أياً كان، وهو ما يقتضي تعزيز قيم العمل الجماعي والتكافل بين الناس والتدخل لحل النزاعات الخاصة والعامة في الداخل والخارج، وعقد شراكات التعاون مع مختلف الجهات العاملة في مجال تقديم الخدمات الإنسانية^(٥)، بعيداً عن ذهنية التمادي في الباطل وتبنيه كمنهج حياة أو منطلق تفاعل مع الآخر.

خامساً: عامل المسارعة في المبادرة

قد يؤثر على صياغة أو حسن انتقاء البنود الحوارية المقنعة لأطراف النزاع، لكون المبادر هو في صراع مع زمن تسارع الأحداث، فقد يفقده السيطرة على العناصر الرئيسية في الإقناع، مما يشكل تحدياً للمبادرة في أثرها على الحدث، وقد تكون سبباً لتغذية النزاع، وبذلك ينطبق عليه قوله تعالى: {خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} (٦).

قال ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"^(٧)، ومنهجية العمل في الإسلام على العموم إتقانه، مهما كانت درجة ذلك العمل أو أهميته.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤ ص ١٠٩.

(٢) سورة الحجرات (١٣)

(٣) عبد النور بزا، مصالح الإنسان مقارنة مقاصدية، ص ٣٨٠، ط الأولى ٢٠٠٨م المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٤) سورة المائدة (٢)

(٥) عبد النور بزا، مصالح الإنسان مقارنة مقاصدية، ص ٣٨٠.

(٦) سورة التوبة (١٠٢)

(٧) علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، ج ٤ ص ١١٥، رقم ٦٤٦٠، رواه أبو يعلى وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة.

المبحث الثاني: عوامل تفعيل المبادرات الدولية

ليست العبرة بإطلاق المبادرة ولكن متى تكون المبادرة وكيف؟ وكلما كانت المبادرة في الزمان والمكان والمقام المناسب كلما كانت مؤثرة في عناصر النزاع، وعاملاً مهماً في وقف النزاع الدولي، فالمبادرة التي تعترض موجة العنف، الأصل فيها أن تخفض وتيرة تلك الموجات موجة موجة، حتى تصل إلى حالة من الأمن والاستقرار، وبذلك تنعم البشرية بنتائج تلك الجهود.

قال الخازن: الإصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا إلى ما كانا فيه، من الألفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به^(١)، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وهو ما يستوجب الانخراط الجماعي في نشر الثقافة التي تؤسس لعلاقة الأخوة والمحبة والتعاون وتبادل النفع^(٣)، بدل التنزاع والتناحر أو التباغض، أو الرغبة القتالية، قال ﷺ: "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية."^(٤)، فالرسول ﷺ ينهى عن الرغبة القتالية وتمنيها حتى مع العدو، ويسأل الله ان يديم نعمة السلم^(٥)، وذلك أساس لمنطلق التعاملات الدولية.

وليس القضية أن تحكم على هذه أو تلك، كمبادرة ناجحة أو غير ذلك، ولكن هي قراءة لما رصد التاريخ من نجاحات لمبادرات سمت بالبعد الإنساني بعيداً عن معالم النقص أو الانتقاص، والاستفادة من أسباب وعوامل تفعيلها اللغة الإيجابية في تحويل لغة الخطاب من حالته السلبية إلى بعده الإنساني، والمحافظة على عدم فقدها لمقومات نجاحها، أمام ذلك نحاول أن نتلمس معالم عوامل تفعيل نجاح تلك المبادرات، وأهمها:-

أولاً: استثمار الوقت بصورة مناسبة وعدم التباطؤ

لان عامل الوقت مهم جداً في جودة المبادرة وأثرها في أبعاد النزاع، وكلما كانت المبادرة متقدمة على تسارع النزاع، كلما كانت في الوقت المناسب والمثالي لها، لأنها مع تسارع الأحداث وتصعيد الموقف يسير موضوع النزاع في الاتجاه السلبي والمتسارع وتفقد المبادرة شيئاً من فاعليتها، ولذا سميت المبادرة مبادرة نظراً لعامل الوقت فيها وسبقها للأحداث.

- (١) علاء الدين علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر- بيروت، ج ١ ص ٥٩٧.
- (٢) سورة الأعراف (٨٥).
- (٣) عبد النور بزا، مصالح الإنسان مقارنة مقاصدية، ص ٣٨١.
- (٤) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢ ص ٨٧، ط ١، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- (٥) د. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ١٣٤، ط ٤، ١٩٩٢م، دار الفكر- دمشق.

قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} (١)، المبادرة والإسراع إلى الخير في الدين، كما في (٢)، قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} (٣).

وتظهر جليلة أهمية استثمار مسارعة الوقت في موقف بديل بن ورقاء (٤) في صلح الحديبية، لكونه التقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يلتقي بقريش، وقبل أن يحتدم الموقف، قال عروة بن الزبير ﷺ يصف لحظة قدوم بديل عليهم، فقال: فو الله ما زال يجيش لهم بالرّي حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي (٥)، لأنه لما وصلت الأخبار لأطراف النزاع كان الفريقان في حالة بناء المواقف وتجييشها، فكان الجيش الإسلامي في تشاور حول الخطوة القادمة، وكان مجيء بديل في لحظة مناسبة وقبل أن يتفاهم الموقف، فلذا كانت نتيجة المبادرة في الاتجاه الايجابي منذ انطلاقتها وفي جميع مراحلها بعد ذلك.

ثانياً: وجود الحاجة لطرح مبادرة

عند طرح المبادرة يجب على طارحها التأكد من أن هناك حاجة لها، وإلا تفقد المبادرة قوتها أو الالتفات لها، لكونها جاءت بدون حاجة لها من أساسه، أو أن تطلق المبادرة مع وجود مبادرة أخرى، ولم يفرغ بعد من تداولها، ففي هذه الحالة قد لا يستفاد من تلك المبادرة من جانب، وقد تؤثر على المبادرة الأولى من جانب آخر، فلا تأخذ الوقت الكافي في تداولها لتزاحم المبادرات خصوصاً المتناقضة منها.

كانت مبادرة أبو سفيان ﷺ بعد غدر قريش وبني بكر بقبيلة خزاعة ونقضها للعهد من هذا القبيل، لما جاء إلى المدينة المنورة يحمل مبادرة لتجديد معاهدة صلح الحديبية القائم، فجاء إلى أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي ﷺ وسألهم أبو سفيان ما سألهم من ذلك، قالوا ما حاجتك وحاجة أهل مكة إلى ذلك، إنهم جميعاً في صلح وفي أمان لا تحتاجون معهما إلى غيرهما (٦)، فكان موضع الاستغراب ما دام هناك معاهدة قائمة فلا مسوغ إلى طرح مبادرة لتداولها من جديد، والأصل في هذه الحالة أن يأتي بمبادرة تتناول موضوع إغارتهم على بني خزاعة، وليس الحديث عن تجديد معاهدة قائمة، فلذا كانت مبادرة أبو سفيان مثار استغراب من الصحابة ﷺ ولم تلق أي دعم أو اهتمام.

(١) سورة الواقعة (١٠).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤ ص ٤٠٤.

(٣) سورة التوبة (١٠٠).

(٤) بديل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعي؛ أسلم هو وابنه عبد الله بن بديل وحكيم بن حزام يوم الفتح بمر الظهران، وشهد بديل وابنه حنيناً والطائف وتبوك، وقيل إنه أسلم قبل الفتح، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات- ج ٣ ص ٣٦٣.

(٥) محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٥هـ، نيل الأوطار، دار الجليل- بيروت، ج ٨ ص ١٨٤.

(٦) أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي (ت ٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار، ط ٣، دار الكتب العلمية، ج ٣ ص ٣١٨.

ثالثاً: استخدام الوسائل الصحيحة والمناسبة لحالة النزاع وطبيعته

لان النزاع الدائر بين طرفي النزاع، قد يكون له طبيعة معينة تستدعي وسيلة ما، فقد تكون نصيحة أو أمراً بمعروف أو وساطة أو توفيقاً بين وجهتي نظر أو ما إلى ذلك، فنجد مبادرة بديل بن ورفاء كانت وسيلة من باب النصح، وكانت مبادرة عروة بن مسعود استطلاعاً وتوفيقاً، ولذا لما رجع عروة إليهم قال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إني ما رأيت ملكاً قط تعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها^(١).

رابعاً: ترتيب الأولويات في موضوع المبادرة وأسباب النزاع

حتى تلقى المبادرة استجابة يجب على طراح المبادرة الإلمام بالأسباب الرئيسية وراء النزاع، والتي تمثل عنصر التوتر، فلا يمكن أن تركز المبادرة الجادة على بؤر النزاع الرئيسية^(٢)، وجعلها بنوداً أساسية في المبادرة، ولكن من الحكمة بمكان أن تكون الأولوية بالتركيز على عناصر التفاهم والتقارب كعوامل محفزة إلى قبول الآخر كشريك في لغة الحوار وعلى طاولة المفاوضات.

ضمن مناخ نفسي مريح بعيد عن عوامل التوتر، لان الميل المصلحي الفطري لدى الإنسان هو سبب ارتياح النفوس واقتناع العقول، والانقياد طوعية على الأغلب لما يعرض عليها... وهو ما يفرض اعتماد منطق رعاية المصالح العامة في التواصل البشري العام^(٣)، ومن هنا يليق بطراح المبادرة مراقبة المصالح المشتركة بين أطراف النزاع ويسعى لجمعهم عليها.

خامساً: استغلال كل الطاقات المؤثرة في الصراع

من جودة العمل أن توظف كل الطاقات وعملية حصر الجهد باتجاه واحد لا يعطي جميع التصورات لنجاح ذلك العمل، وليست القضية إستثنائية بفضل دون الآخرين، بقدر ما هو جهود متضافرة، وفي سباق مع الزمن والأحداث، من أجل منع كارثة محتملة الوقوع، مع تصاعد وتيرة نشوبها، وتوزيع العمل عليها.

(١) الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٨ ص ١٨٤.

(٢) لا بد هنا من الإشارة إلى قضية رئيسية، وهي أن موضوع الأولوية هنا للقضايا الممكن التقارب عليها، من قبل أطراف النزاع، وليس القضايا الرئيسية ولا يعني ذلك التنازل عنها، وإنما رغبة في خلق أجواء إيجابية للغة الحوار، والقضايا الرئيسية يمكن التعرض لها عند انتقال النزاع إلى حالة حوار تطرح تلك القضايا، لان الذهنية الحوارية اقدر على تفهم المصالح من الذهنية النزاعية.

(٣) عبد النور بزا، مصالح الإنسان مقارنة مقاصدية، ص ٣٧.

نقد الإسلام هدر الطاقات فيما لا طائل منه أو مصلحة للمجتمع، قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (١).

قال ابن حيان: ظاهر قوله، أو إصلاح بين الناس، أنه في كل شيء يقع فيه اختلاف ونزاع (٢)، وكلمة الناس عامة تتناول المسلمين وغيرهم.

ظهرت في صلح الحديبية طاقات كثيرة للمبادرة لوقف حالة النزاع المتوقع بين المسلمين وقريش، وقد ذكرت الأسماء الكثيرة، التي بادرت بالإضافات على الموقف، قبل الوصول إلى مرحلة الاتفاق مع سهيل بن عمرو، وكانت حركة الأسماء متضافرة من أطرف النزاع وغيرهم في الإصرار على إنهاء النزاع، وهم بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم بعد ذلك عروة بن مسعود، ثم بعد ذلك، بعثوا الحلس بن علقمة الكناني فقال: دعوني آتته، فقالوا: انتته، ثم بعد ذلك، قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آتته، فقالوا: انتته، وقد بعث النبي ﷺ بهذا الصدد خراش بن أمية الخزاعي، ثم بعد ذلك أرسل لهم عثمان بن عفان ﷺ (٣)، كل هذا الأسماء تمثل طاقات وظفت في أجل دفع المبادرة بالاتجاه الصحيح، وكل منهم كان يعطي صورة مؤثرة في تقريب وجهات النظر، إلى أن وصلت المرحلة إلى الاتفاق النهائي لإنهاء النزاع بمعاهدة سلام.

سادسا: التوجه الصادق من المبادر وطرفي النزاع، والتفاعل الايجابي مع المبادرات المطروحة

يعد هذا الأمر من أسس نجاح المبادرة وسرعة تحقيق نتائجها، فكان موقف النبي ﷺ في صلح الحديبية معلنا بقبول أية مبادرة تطرح لحل النزاع، فقال ﷺ: (فقال ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ زَجَرَهَا فَوُثِّبَتْ قَالَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ" (٤)، وكذلك قريش كان هدفها التحقق من مقدم النبي ﷺ هل هو مجرد زيارة البيت أم هناك ما هو مبيت من نيته الحرب أم غيرها؟، فلذلك أكثرت قريش من المترددين على المسلمين من أجل الوقوف على حقيقة الموقف، فلذلك الحلس بن علقمة الكناني، لما رأى الهدى رجع بدون أن يكلم المسلمين، وهو من قوم يعظمون البدن (٥) فبعثوا له واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه، قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت (٦).

(١) سورة النساء (١١٤).

(٢) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ج ٣ ص ٣٤٧.

(٣) انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦، الجامع الصحيح، دار الفكر - بيروت، ج ٣ ص ١٨٠، احمد بن حنبل، المسند، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، ج ٤ ص ٣٢٤.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٣ ص ١٧٨.

(٥) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانا وكانوا يسمونها لذلك، سميت بذلك لعظمها وضخامتها أو لسنها تاج العروس من جواهر القاموس - (٣٤ / ٢٣٨)، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار النشر، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، ج ١ ص ٤٤.

(٦) الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٨ ص ١٨٥.

يجب على المبادر التمتع بالمصداقية في حل النزاع، تجاه أطراف النزاع، وصادق أيضا فيما يطرح من أفكار ومؤمن بقدرته الطرح على تحقيق أهدافه في إنهاء النزاع، لأنه إن لم يكن على هذا المستوى من الإيمان بما يطرح، لا يمكن أن يحقق أهداف المبادرة وعند أول عقبه تواجهه قد يتراجع عما يطرح أو ينطلق من موقف ضعيف.

قال الطيبي: لأن الصدق يعبر به قولاً عن مطابقة القول المخبر عنه، ويعبر به فعلاً، كقوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١)، أي حقق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً^(٢).

وتظهر أهمية مصداقية المبادر لإنهاء النزاع فيما طرحه عروة بن مسعود على قومه من مدى ثقة القوم به، لما أراد أن يبادر في حل النزاع في الحديبية، فقال لقريش: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: أستم تعلمون أنني استنشرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشداً قبلوها وذروني أته، قالوا: انته فأتاه^(٣).

قال النووي: يستحب أن يكون متولى ذلكم من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى^(٤).

أما إذا كان التوجه لدى أطراف النزاع الإصرار على عدم النظر أو الاستجابة فيما يطرح من مبادرات، تتأثر المبادرة ويتأزم الموقف وترتفع وتيرة النزاع، ويحكم على المبادرة مسبقاً بالفشل، والجهود التي تبذل بهذا الصدد جهود في غير مكانها، وعند ذلك لا بد من تعديل وسائل المبادرة لتلاءم مع الحالة التي عليها أطراف النزاع.

وتتميز الشريعة الإسلامية باستعمال القوة في إلزام الطرف الثاني بمناقشة ما يطرح من مبادرات وبيان من خلال الحوار العقلاني وجه الصواب وتبنيته، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَهُمَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٥).

لأن الله سبحانه بدأ الأمر بالإصلاح قبل القتال، "افْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا"، ولأن المقصود كفهم ودفع شرهم، لا قتلهم، فإذا أمكن بمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر

(١) سورة الزمر (٣٣).

(٢) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة- بيروت، ج ١ ص ٢٠٠.

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٨ ص ١٨٤.

(٤) يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، شرح مسلم، دار الكتاب العربي- بيروت، ج ٢ ص ٢٥.

(٥) سورة الحجرات (٩).

بالفريقين، وإن سألوا الإنظار والظاهر من قصدهم الرجوع أمهلهم، وإلا آذاهم بالقتال^(١)، ويجب على الإمام مراسلتهم ويسألهم ما ينقون منه ولا يجوز قتالهم قبل ذلك^(٢).

تقرر الآية أن المؤمنين إذا اقتتلوا، وجب على جماعة من ذوي الرأي أن تصلح بين المتقاتلين، فإن بغت طائفة على الأخرى، وجب على المسلمين جميعاً أن يتجمعوا لقتال الفئة الباغية^(٣).

قال ابن عاشور: أن الأمر بالإصلاح بينهما واجب قبل الشروع في الاقتتال، وذلك عند ظهور بواده وهو أولى من انتظار وقوع الاقتتال ليتمكن تدارك الخطب قبل وقوعه^(٤).

قال النووي: ويغلب على المتماذى في غيه والمسرف في بطالته، إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكراً أشد مما غيره^(٥).

تبين الآية مراحل متابعة المبادرة عندما يتمسك طرف بلغة القتال، ولا يذعن إلى لغة الحوار، يتبنى طارح المبادرة الموقف التالي لموقف عرض المبادرة إلى مرحلة أخرى، وهي أن ينقلها للرأي العام، ويشكل بذلك جبهة تصدّ عامة، لمواجهة من جاوز منطقه الحدود، وبذلك تتميز الشريعة الإسلامية بطرحها للمبادرة، مع بيان معالم تأثيرها ومركز قوتها، كما أن معركة المبادرة بطرحها الإسلامي، تمثل حالة سلب لمقومات التعنت الذهني للطرف الراض لغة الحوار، ولا تستمر هذه المعركة بل تقف عند تحقق أهدافها، وهو بالانصياع إلى منطق العقل الدولي المعين بحدود المسؤولية تجاه الآخرين.

سابعا: المثابرة والمتابعة لأطراف النزاع

وعدم التراجع مع أول معضلة تعترض المبادرة، لأن المبادرة قد لا تحقق طموح أطراف النزاع لعدم الإحاطة بموضوع النزاع أو تداعيات الموقف، وعند ذلك قد لا يوافق جميع أطراف النزاع على تلك الأفكار المطروحة، ولذا قد تستغرق عملية تقريب وجهات النظر وإقناعهم بعض الوقت، ولكن مع الإصرار على متابعة درجات التحسن وتدارك نقاط الخلل، يدرك المبادرة بغيتها ويحقق أهدافه، ولذا وصف القرآن أصحاب هذه الهمم، فقال تعالى: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي

(١) عبد الله ابن قدامه، (ت ٥٦٢٠هـ)، المغني، دار الكتاب العربي- بيروت، ج ١٠ ص ٤٩، محمد بن الحسن الشيباني، السير الكبير، ج ٢ ص ٧٤١.

(٢) منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الفكر- بيروت، ج ٦ ص ١٦٣-١٤٠٢هـ.

(٣) أبو المنذر عبد الحق اللطيف، مختصر القنديل في فقه الدليل، ج ١ ص ٢-١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، دار النشر: دار الشعب - القاهرة، ج ٦ ص ٣١٧.

(٤) ابن عاشور. التحرير والتنوير ج ٢٦ ص ٢٤٠.

(٥) النووي، شرح مسلم، ج ٢ ص ٢٥.

الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^(١)، قال ابن عاشور: ويجوز أن يكون مستعملاً في المغالبة في تحصيل الخير^(٢)، بحيث تصل مرحلة المتابعة الحثيثة من المبادر إلى درجة المغالبة.

ثامناً: أن تكون المبادرة المطروحة ممكنة التنفيذ

والمبادرة الجيدة أن تتناول القضايا والأمور ممكنة القبول، وقابلة للتنفيذ من طرفي النزاع، ولا تحقق مكاسب لطرف دون الآخر أو على حساب الآخر، ففي هذه الحالة قد لا يمكن قبولها، ومن هذا القبيل ما عرضت غطفان على النبي ﷺ مبادرة الانسحاب من غزوة الخندق^(٣) مقابل ثمار المدينة، ولما استشار ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد ﷺ بما طرح، قالوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْحِي مِنَ السَّمَاءِ، فَالْتَسْلِمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ عَنِ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأَيْنَا تَبِعَ لِهَوَاكَ وَرَأْيِكَ؟ فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِنْبَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَتَّالُونَ مِمَّا تَمَرَّةٌ إِلَّا بِشَرِّى، أَوْ قَرَى"^(٤).

طرح قبيلة غطفان فيه استغلال للحالة التي كان عليها المسلمون، كما أنهم طلبوا قوام معيشة المسلمين وعمود اقتصادها، نجد أن هذا الطلب غير ممكن التنفيذ، لأنهم في حالة ضعفهم لم يتنازلوا لغطفان عن شئ من ثمارها، فكيف بهم وقد أعزهم الله بالإسلام، فلما رأى ﷺ العزيمة التي هم عليها، وان موضوع التفاوض من الأمور التي لا تقبل التنازل، فلذا رفضت المبادرة كونها مبادرة غير ممكنة التنفيذ من حيث الاعتبارات السياسية للمدينة قديماً وحديثاً.

تاسعاً: التخطيط الجيد والشامل لكل مراحل المبادرة

بحيث تستهدف جميع أطراف النزاع، ولا تتضمن معضلات النزاع الرئيسية والكبرى، ولكن بقدر ما تتناول أو تركز على نقاط الخلاف التي يمكن أن تخفف من حدة التوتر وتساهم في تقريب وجهات النظر، وترك مسار الحوار يصل إلى منتهاه وقد حدد أغراضه، وقد خلصت الحوارات الأولية إلى مرحلة يمكن لأطراف النزاع أن يكون لهم تصورا أفضل لمعضلات النزاع الرئيسية.

فلذلك من الجيد بداية التركيز في المبادرة على لغة النزاع، ونقلها من لغة العنف إلى لغة اللطف بالطرق الدبلوماسية، ومن جودة المبادرة تقسيم مراحل الحوار، وجعل أولويات الحوار بقضايا اخف سخونة وإشكالية، وترك المعضلات الكبرى في المرحلة الأخيرة، وذلك من خلال إمكانية دراسة النزاع من خلال فقه الواقع، وفقه الموازنات وفقه الأولويات، وبذلك قد تصل إلى

- (١) سورة المؤمنون (٦١).
- (٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤ ص ٤٠٤.
- (٣) قال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، انظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) فتح الباري - ج ٧ ص ٣٩٣، دار الفكر، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب..
- (٤) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، ج ٥ ص ٢٦٩، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، المصنف، ط ١، دار الفكر - بيروت، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ج ٨ ص ٥٠١.

مرحلة التغيير في حقيقة النزاع الدائر أو المحتمل بين أطراف النزاع، مثل مبادرة الصلح الأيرلندية فكانت معضلة الاتفاقية نزع سلاح الجيش الجمهوري، ففي أبريل ١٩٩٨م أسفرت المحادثات بين أطراف النزاع عن اتفاق تاريخي لإحلال السلام في أيرلندا الشمالية، ولكنه استمر اختلاف القادة السياسيين حول موعد نزع سلاح الجيش الجمهوري الأيرلندي، حتى عام ٢٠٠١م عندما اقتنع الطرفان على نزع السلاح، وقد أكد مراقبون دوليون على بدء نزع أسلحة الجيش الجمهوري^(١) بعد ثلاث سنوات من المفاوضات، لأن المعضلة مع مرور الوقت ويلمس أطراف النزاع مصداقية الاتفاقات بينهما تهون تلك المعضلات وتتلاشى شيئاً فشيئاً، كون المرحلة بهذا التاريخ قابلة لاستقبال جديد المفاوضات، وذلك بسبب ذكاء المبادرة في احتواء الأزمة السياسية.

المبحث الثالث: الآثار الحوارية لأطراف النزاع في سير المبادرات الدولية

شهد التاريخ الإسلامي الحراك الدولي للمبادرات منذ اللحظات الأولى، والتي تمثل منعطفات تاريخية في حياة الأمة الإسلامية، وكلما كانت أطراف الصراع أكثر عقلانية في النظرة البعيدة لآثار النزاع، كلما كانت النتائج متكاملة العناصر، وخصوصاً إذا كانت القراءة للمبادرات عميقة، رغم لحظات طيران الأبواب واحتدام المواقف وتشنجها، ومجئ المبادرة في مثل هذه الظروف، يمثل إطلاقة أمل في مهب العاصفة السياسية، فلا يغادر الأمل إلا وقد حظ الوئام رحاله، ورحل شفير الخصام.

صلح الحديبية وما جرى فيه من أحداث، يمثل حالة الذكاء الإسلامي في التعامل مع الأحداث المتأزمة، لأن قدوم المسلمين إلى مكة بالنسبة لقريش يمثل حالة تحدٍ، في مرحلة مشحونة بالتراكمات السابقة من الخلافات والحروب، وبالنسبة للرسول ﷺ يمثل خطوة إيجابية في هذا الاتجاه وانجازاً، في كسر جدار العزل الاجتماعي لمجمع المدينة المنورة مع المجتمعات الأخرى، فبرجوع النبي ﷺ بالصلح إلى المدينة المنورة كانت مرحلة تحول جذرية على الساحة بصورة عامة، فتوسعت الدولة الإسلامية أيما توسع، وبعد ذلك تقاربت وجهات النظر التي ضاقت ببعض بنود المبادرات لحظات الحوار لكنها بعد ذلك أدركت ما بها من فضل.

وكان من الذين كرهوا الصلح عمر بن الخطاب وجل الصحابة رضي الله عنهم قالوا: فعلام نعطي الدنيا في ديننا^(٢).

ولكن بعد ذلك قال البراء بن مالك رضي الله عنه: "تَعْدُونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتُخِ مَكَّةَ وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ"^(٣)، إذاً بعد أن كانت بنود المبادرة التي تم الصلح على ضوئها صورة غير مرضية، لكن بعد سماع صوت العقل في مثل هذه الظروف تتحقق أبعاده الإيجابية على واقع الصراع.

(١) الموسوعة العربية العالمية، أبجدية، الألف/أيرلندا الشمالية/ص ١١.

(٢) النووي، شرح مسلم، ج ١٢ ص ١٤١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٥ ص ٦٢.

قال النووي: والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة، التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس في دين الله أفواجا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة، وحلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحوه، وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته وجميل طريقته، وعابنوا بأنفسهم كثيرا من ذلك، فما زلت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، إما كان قد تمهد لهم من الميل^(١).

هذه النتائج لكن انقل لك بعض الجوانب الحوارية أو ردود الأفعال الايجابية أو السلبية أثناء تبادل المبادرات، ومنها:

أولا: يبين موقف النبي ﷺ أهمية الرغبة بالاتفاق وإرادة التفاهم عند بواكر النزاع

وتفادي نقاط مفعلاته، وذلك عندما غير النبي ﷺ طريقه، من نقطة المواجهة السلبية مع قريش لفتح أبواب الحوار الدبلوماسي، فقال ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ رَجَرَهَا فَوُتِّبَتْ قَالَ فَعَدَلْ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ"^(٢).

ثانيا: نقل صورة الموقف كما هي

وقد وصف بديل أن القوم قد عزموا على موقف جازم لا هوادة فيه، وكان لوضوح هذا الموقف الأثر في فهم الرسالة المراد توصيلها إلى الطرف الآخر مختصرة، كما أن المبادرة لا تثقل بكثرة الطلبات، لأنه ما لم يذكر في المبادرة يمكن تداركه من خلال المفاوضات وتحصيل ما فات.

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من قومه من خزاعة، فقال: إني تركت القوم ومعهم العوذ المطافيل^(٣)، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال ﷺ: "إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتُهُمُ الْحَرْبَ وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ مَدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَطْهَرُوا فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرَدَ سَالِقَتِي وَلَيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ"^(٤).

(١) النووي، شرح مسلم، ج ١٢ ص ١٤٠.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٣ ص ١٧٨.

(٣) العوذ المطافيل: أن قريش جاءوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم النساء والصبيان، المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، النهاية في غريب الحديث، ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت، ج ٣ ص ٣١٨، والمراد من ذلك ان قريش قد حشدت كل الطاقات لحرب المسلمين، وقول هذه العبارة بهدف الحد من اندفاع المسلمين تجاه مكة.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٣ ص ١٧٨.

قال بديل: سأبلغهم ما تقول قال فانطلق حتى أتى قريشا.

العبارات الحوارية السابقة تمثل عمقا في التعامل مع حركة المبادرين لحل النزاع، وترقب لمستجدات المواقف والابتعاد عن بؤر التآزم، وإرسال الكلمات المعبرة عن وضوح الطرح وسلامة الموقف.

ثالثا: المواقف في الأجواء الاجتماعية المتوترة تكون مشحونة ببعض مفعلى الاتجاه السلبي

في مثل هذه الاجتماعات، فمن المنطق عدم السماع لأصحاب الرأي غير المسؤول أن يسود رأيهم ويعلوا صوتهم، لأنهم فقدوا عقلانية المواقف، وعلى الأغلب يتبنون دائما الرفض المطلق للمبادرة ولمجرد سماع ما نصت عليه وقبل التفكير فيه.

فلذا يجب رصدهم ومعرفة وسيلة تجاوزهم بدون إثارة المواقف المتأزمة، وخلق المناخ المناسب لمرور الآراء المسؤولة، فنمضي مع الحوار لينقل لنا ردود الأفعال أمام ما يطرح من مبادرات، قال بديل: "إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ نُخِيرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ وَقَالَ دُوو الرَّأْيِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ"^(١)، يفيد الحوار السابق ويثير نقطة جوهرية في تفعيل الحوار، بالانتباه للمخذلين عن سماع صوت العقل، وهم يثيرون حالة الفوضى السياسية، وتغذية الآراء المتشنجة على غير هدى.

رابعا: المبادرة إلى استشراف الجانب المشرق من المبادرة موضوع الحوار

وقطع الطرق على المعوقين من هيمنة طروحاتهم على الموقف المثار، ومنها ما فعله عروة وكان عين الصواب عندما علق على ما طرح بديل بن ورقاء، بقوله: "فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ أَقْبَلُوهَا وَدَعَوْنِي آتِيهِ قَالُوا آتِيهِ"، وهو بهذا الموقف يبادر بمبادرة معززة للمبادرة الأولى، وتمثل مرحلة ثانية إستكمالية لما طرح، وحمل موقف عروة الإسقاطي على نظرة قريش إلى الطرف الآخر.

بصورة عامة قد تتأثر المبادرة عندما تطرح مبادرة متناقضة معها، وبذلك يتأثر كل منهما بالأخرى في الاتجاه السلبي، فلا المبادرة الأولى أخذت بعدها في الحوار ولا الثانية جاءت في ظروف مناسبة لمناقشتها، ولكن قد تأتي مبادرة مكملية للأخرى.

وتوالت بعد ذلك المقابلات حتى انتهت بصلح الحديبية، وكلما كانت المصادقية حاضرة كلما كانت النتائج متحققة.

خامسا: الموازنة الزمنية في المبادرة

بين عامل السرعة عند طرحها وهو المؤثر في قوتها، وقدرتها التحويلية لموضوع النزاع، وبين عامل السرعة في تداولها قد يحرفها عن مسارها، لأن عامل المسارعة عند تداولها قد يؤثر

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٣ ص ١٧٨.

سلبا على المبادرة، فرما تدرس بسرعة وبنفس السرعة ترفض، ولكن كلما أخذت الوقت الكافي كلما زادت احتمالية نجاحها، والتأثير الايجابي في الحوار ونقله إلى الاتجاه الصحيح، وقد تستمر أياما كما في صلح الحديبية، وقد تستمر سنوات مثل مبادرة رئيس وزراء بريطانيا لمعالجة النزاع الايرلندي، وذلك في الستينيات لما صعد المعارضون للوحدة مع بريطانيا حملاتهم وجنح بعض المتطرفين إلى أسلوب العنف، مما أدى إلى تفاقم الوضع الأمني في البلاد وزيادة حدة التوتر بين الفئتين، وفي نوفمبر ١٩٩٣م دعا رئيس وزراء بريطانيا إلى مبادرة سلمية لحل مشكلة أيرلندا الشمالية بمشاركة رئيس وزراء أيرلندا الشمالية، وبدأت اجتماعات تمهيدية بينهما، وقد أسفرت هذه المبادرة عن اجتماعات بين أطراف النزاع وإقرار حق تقرير المصير للبروتستانتين ونزح العنف واتخاذ الوسائل الديمقراطية لحل المشكلات، وفي أغسطس ١٩٩٤م، وأعلن الجيش الجمهوري الأيرلندي توقفه نهائياً عن أعمال العنف، وفي أبريل ١٩٩٨م أسفرت المحادثات بين أطراف النزاع عن اتفاق تاريخي لإحلال السلام في أيرلندا الشمالية ونال موافقة الأغلبية السكانية في استفتاء أجري في مايو من العام نفسه، وفي عام ١٩٩٩م، تأجل تنفيذ اتفاقية السلام لاختلاف القادة السياسيين حول موعد نزع سلاح الجيش الجمهوري الأيرلندي، واستمر الخلاف حول نزع سلاح الجيش الجمهوري حتى عام ٢٠٠١م عندما أكد مراقبون دوليون على بدء نزع أسلحة الجيش الجمهوري^(١).

تمثل حالة النزاع الايرلندي معضلة ذات بعد تاريخي، ولها أيضا بعدها العقدي وكذلك السياسي، فهي مشكلة متراكبة التعقيد، ومع ذلك لما كانت المبادرة المطروحة ذات استيعاب لجوانب المشكلة، ومقنعة لأطراف النزاع، مباشرة بدأت الاجتماعات بين أطراف النزاع ضمن الأجواء السلمية، ثم توالى بعد ذلك القرارات الايجابية في نقل وتيرة النزاع من العنف إلى الخطاب الدبلوماسي، حتى وصلت قراءات المبادرة إلى الموافقة على مؤداها باستفتاء عام والاتفاق الشعبي والرسمي، ولكن اخذ البعد الزمني سنوات وكان عدم الاستعجال من عوامل نجاح تلك المبادرة.

الخاتمة

- وتتناول أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث، وكانت أهم النتائج ما يأتي:-
١. النزاعات بيئة مناسبة لتسارع الأحداث وتراكم الإشكاليات، ومن مهمة المبادرين مسابقة تسارع الأحداث في طرح المبادرات حتى تؤثر في تحويل النزاع.
 ٢. تواجه المبادرات تحديات كثيرة وبمقدار تحديد هذه التحديات بمقدار ما يمكن تجاوزها والتغلب عليها وتوظيفها كعامل مساعد في تفعيل المبادرة.
 ٣. الاستفادة من عوامل تفعيل المبادرة في وقف النزاع، بعيدا عن التطلعات النفعية الشخصية أو الأهداف الاستغلالية لطبيعة النزاع وأبعاده الإستراتيجية.

(١) الموسوعة العربية العالمية، أجدية، الألف/ايرلندا الشمالية/ص١١.

٤. إعطاء المبادرة المناخ المناسب للتداول من حيث جدية المبادرة أو اخذ الوقت الكافي.
٥. حشد الرأي العام وراء المبادرة لدفعها في الاتجاه الايجابي في تحويل لغة الحوار من العنف إلى الدبلوماسية.

أهم التوصيات

توصي الدراسة بحشد الطاقات التنقيفية لبحث ثقافة معالجة الخلافات الدولية من خلال لغة الحوار، ومهما كانت بعيدة الأمد إلا أنها أفضل مما تخلفه النزاعات المسلحة على ارض الواقع لجميع الأطراف.

تبني فكرة الدبلوماسية الوقائية والتي تقوم على رصد التفاعلات الدولية ذات المدلول السلبي، واتخاذ الإجراءات الاحترازية قبل تفكير الأطراف بتكوين رأي متشدد حول طبيعة ذلك التفاعل، وهي تمثل مرحلة قبل تبني فكرة المبادرات، وبذلك نعيش بمجتمع دولي بعيد عن نشوب النزاعات المسلحة فيه، وهي تمثل فكرة استباقية لنشو المواقف المتشددة.

المراجع بعد القرآن الكريم

- إبراهيم، مصطفى. وآخرون. المعجم الوسيط. دار النشر. دار الدعوة. تحقيق مجمع اللغة العربية.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي. (ت ٢٣٥هـ). المصنف. ط ١. دار الفكر. بيروت. تحقيق: سعيد محمد اللحام.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين. (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة. بيروت.
- أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- أبو المنذر، عبد الحق عبد اللطيف. مختصر القنديل في فقه الدليل. ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- أبو حيان الاندلسي. تفسير البحر المحيط. دار الفكر. بيروت.
- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. دار النشر. دار الشعب. القاهرة.
- احمد بن حنبل. المسند. مؤسسة الرسالة. تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون.
- أحمد بن محمد بن سلمة الازدي. (ت ٣٢١هـ). شرح معاني الآثار. ط ٣. دار الكتب العلمية.
- عامر، الزمالي. مقالات في القانون الدولي الإنساني. طبعة برنت رايت للدعاية والإعلام. مصر.

- وهبة، الزحيلي. (١٩٩٢م). آثار الحرب في الفقه الإسلامي. ط٤. دار الفكر. دمشق.
- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. (١٤٠٤ - ١٩٨٣). المعجم الكبير. ط٢. مكتبة العلوم والحكم. الموصل. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- شريف، علم. (٢٠٠٦م). القانون الدولي الإنساني دليل للأوساط الأكاديمية. الناشر: اللجنة الدولية للصليب الأحمر.
- الشيباني، محمد بن الحسن. (ت١٨٩هـ). السير الكبير.
- صلاح الدين، خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي. (ت٧٦٤هـ). الوفاي بالوفيات.
- عبد الله، ابن قدامه. (ت٦٢٠هـ). المغني. دار الكتاب العربي. بيروت.
- عبد النور، بزا. (٢٠٠٨م). مصالح الإنسان مقارنة مقاصدية. ط١. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- علاء الدين، علي بن محمد الخازن. لباب التأويل في معاني التنزيل. دار الفكر. بيروت.
- علي بن أبي بكر، الهيثمي. (ت٨٠٧هـ). مجمع الزوائد. دار الكتب العلمية. بيروت.
- المبارك، بن محمد بن الأثير. (ت٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- محمد، الطاهر بن عاشور. (ت١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير. ط١. مؤسسة التاريخ العربي. بيروت.
- محمد، بن إسماعيل البخاري. (ت٢٥٦). الجامع الصحيح. دار الفكر. بيروت.
- محمد، بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. (١٩٩٠م). المستدرک علی الصحیحین. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- محمد، بن علي الشوكاني. (ت١٢٥٥هـ). نيل الأوطار. دار الجليل. بيروت.
- محمد، مرتضى الزبيدي. (ت١٢٠٥هـ). تاج العروس. مكتبة الحياة. بيروت.
- منصور، بن يونس البهوتي. كشف القناع عن متن الإقناع. دار الفكر. بيروت.
- الموسوعة العربية العالمية. أبجدية. الألف /ايرلندا الشمالية.
- يحيى بن شرف النووي. (ت٦٧٦هـ). شرح مسلم. دار الكتاب العربي. بيروت.
- أياد، هلال. (١٩٩١م). المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية. ط١. دار النهضة الإسلامية.
- أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهرى. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. ط١. دار إحياء التراث العربي. بيروت. تحقيق: محمد عوض مرعب.